رؤية نفسية للتغيرات فى الشخصية المصرية

إعداد

أ.د/ سميرة على جعفر أبو غزالة

أستاذ علم النفس الإرشادى

كلية الدراسات العليا للتربية– جامعة القاهرة

رؤية نفسية للتغيرات فى الشخصية المصرية

أ.د/ سميرة على جعفر أبو غزالة *

مستخلص:

ما حدث من تغيرات فى الشخصية المصرية أشارت إليها دراسات علمية، وملاحظات وآراء بعض المفكرين والعلماء، وملاحظتى الشخصية كونى متخصصة فى العلوم النفسية لا شك أن له أثر كبير على جودة الحياة النفسية لهم. وبهذا يصعب تحقيق ما جاء فى رؤية مصر ٢٠٣٠ من أنه بحلول عام ٢٠٣٠ تكون مصر ضمن الـــ (٣٠ دولة) الأفضل فى جودة الحياة.

لذا كانت هذه الورقة والتى هدفت إلى وضع رؤية نفسية علمية بعيدة عن التحيز قدر الإمكان لتوضيح وتفسير التغيرات فى الشخصية المصرية، علها تكون مدخل لتحقق جودة الحياة النفسية للمصريين، ومن ثم تحقق ما جاء فى رؤية مصر ٢٠٣٠ بخصوص جودة الحياة.

وبدأت الورقة بدراسات علمية سابقة تعرضت لتحولات وتغيرات فى الشخصية المصرية، وملاحظات وآراء بعض المفكرين والعلماء. ومفهوم الشخصية وعوامل تكوينها، ومفهوم الشخصية المصرية، ومفهوم الشخصية المصرية القومية كمدخل للتحقق من القول بوجود شخصية مصرية واحدة، واختتمت بالرؤية، وعدد من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: الشخصية المصرية، الشخصية المصرية القومية، تغيرات فى الشخصية المصر

* **أ.د/ سميرة على جعفر أبو غزالة:** أستاذ علم النفس الإرشادى- كلية الدراسات العليا للتربية- جامعة القاهرة.

A psychological vision of the changes in the Egyptian personality

Dr. Samira Abu Ghazala

Professor of Counseling Psychology
Graduate School of Education - Cairo University

The changes that occurred in the Egyptian personality were indicated by scientific studies, and the observations and opinions of some thinkers and scholars. My personal observation, being a specialist in psychological sciences, undoubtedly has a great impact on the quality of their psychological life. Thus, it is difficult to achieve what was stated in Egypt's Vision 2030, that by the year 2030, Egypt will be among the (30 countries) that have the best quality of life.

Therefore, this paper, which aimed to develop a scientific psychological vision as far as possible from bias, to clarify and interpret the changes in the Egyptian personality, may be an entry point to achieving the psychological quality of life for Egyptians, and then achieving what came in Egypt's vision 2030 regarding the quality of life.

The paper began with previous scientific studies that exposed transformations and changes in the Egyptian personality, and the observations and opinions of some thinkers and scholars. And the concept of the personality and the factors of its formation, and the concept of the Egyptian personality, and the concept of the Egyptian national personality as an entry point to verify the saying that there is one Egyptian personality, and concluded with the vision, and a number of recommendations.

Keywords: the Egyptian personality, the Egyptian national personality, changes in the Egyptian personality.

رؤية نفسية للتغيرات فى الشخصية المصرية

مقدمة:

الصحة النفسية تمثل منظومة تشمل الصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية وأن تكاملها معا يؤدى إلى جودة الحياة النفسية الذى ينشده الجميع. والذى تلعب فيه الشخصية دورا هاما فى تحقيقه، كونها محصله تفاعل عوامل بيولوجيه مع عوامل اجتماعيه ثقافيه بوجه عام، فالمجتمع والثقافه المميزه لهما أثر كبير فى شخصيات أفراده. فبثقافه المجتمع تحدد بدرجه كبيره اكتسابنا للكثير من عادات حياتنا اليوميه فى المأكل والمشرب والملبس وكذلك تؤثر فى طرق تفكيرنا وفى تعلم قيم الحق والباطل والعدل والظلم والجمال والقبح ....إلخ.

لذا فإن أى تغيرات تحدث فى الشخصية تؤثر بدرجة ما فى جودة الحياة النفسية، وبالتالى فإن ما حدث من تغيرات فى الشخصية المصرية لا شك أن له أثر كبير على جودة الحياة النفسية لهم. وبهذا يصعب تحقيق ما جاء فى رؤية مصر ٢٠٣٠ من أنه بحلول عام ٢٠٣٠ تكون مصر ضمن الـــ (٣٠ دولة) الأفضل فى جودة الحياة.

انطلاقا مما سبق، ومما أشارت إليه الدراسات العلمية من تغيرات حدثت فى الشخصية المصرية منها على سبيل المثال لا الحصر: دراسة حامد عمار حول الشخصية الفهلوية، ودراسة عزت حجازى حول الشخصية المصرية فى ضوء التغيرات الاجتماعية والتركيب الطبقى، ودراسة عبد العزيز الرفاعى حول الطابع القومى للشخصية المصرية، ودراسة جمال حمدان حول شخصية مصر، ودراسة على ليلة حول مقومات وملامح الشخصية المصرية، ودراسة حمدى ياسين حول سمات الشخصية المصرية الوطنية الشائعة، ودراسة رفيق حبيب حول ملامح الشخصية المصرية فى الفترة من العصر الفرعونى حتى تاريخه، ودراسته حول الشخصية المصرية: التجديد والإحياء والاستمرار، ودراسة ميلاد حنا حول الحضارة وأثرها فى الشخصية المصرية، ودراسة نهلة محمد حول الشخصية المصرية القومية بين الاستمرارية والتغيير، ودراسة عزة عزت حول التحولات فى الشخصية المصرية، ودراسة فاطمة الزهراء حول التصورات النمطية للشخصية المصرية، وأشار إليها أحمد عكاشة فى كتابين له أحدهما بعنوان تشريح الشخصية المصرية، وآخر بعنوان ثقوب الضمير: نظرة على أحوالنا، وأشارت إليها رانيا إلياس فى دراسة تحليلية لمضمون الصحف اليومية ٢٠٠٩-٢٠١٠ حول التحولات فى الشخصية المصرية (حامد عمار، ١٩٦٥& عزت حجازى، ١٩٦٩& عبد العزيز الرفاعى، ١٩٧١& جمال حمدان، ١٩٨٠& على ليلة، ١٩٨١& حمدى ياسين، ١٩٨٦& رفيق حبيب، ١٩٨٨، ١٩٩٠& ميلاد حنا، ١٩٩٣& نهلة محمد، ١٩٩٦& عزة عزت عام ٢٠٠٠& أحمد عكاشة،٢٠٠١& رأفت عبد الفتاح، ٢٠٠٤& فاطمة الزهراء، ٢٠٠٨ & أحمد عكاشة، ٢٠٠٨ & رانيا إلياس، ٢٠١٤).

كانت هذه الورقة بهدف وضع رؤية نفسية علمية بعيدة عن التحيز قدر الإمكان لتوضيح وتفسير التغيرات فى الشخصية المصرية، علها تكون مدخل لتحقق جودة الحياة النفسية للمصريين، ومن ثم تحقق ما جاء فى رؤية مصر ٢٠٣٠ بخصوص جودة الحياة.

وتطلب فهم التغيرات فى الشخصية المصرية فهم لمفهوم الشخصية والعوامل التى تعبر إلى نمو الشخصية أو تعلمها، ومفهوم الشخصية المصرية، ومفهوم الشخصية المصرية القومية كمدخل للتحقق من القول بوجود شخصية مصرية واحدة. لذا فقد تم تناولها فيما يلى كل على حدة.

مفهوم الشخصية والعوامل التى تعبر إلى نمو الشخصية أو تعلمها:

الشخصية كما حددها قاموس علم النفس هى تنظيم متكامل ودينامى للخصائص الجسميه (مثل وظائف الجهاز العصبى المركزى وخصائصه ووظائف الحواس والغدد وغيرها) والخصائص العقليه المعرفيه (كالقدرات العقليه والوظائف العقليه العليا من احساس وادراك وتفكير وذاكره وتخيل...إلخ) والخصائص المعنويه (كالقيم والمثل ...) والخصائص الإنفعاليه (كنوع الإنفعالات السائده والإتجاهات الاجتماعيه ودور الفرد فى الجماعه ومركزه فيها) هذا التنظيم يتضح فى تفاعل الفرد مع الأشخاص الآخرين وفى الحياه الإجتماعيه المبنية على الأخذ والعطاء.

والشخصيه بتحليل أكبر تتضمن الحوافز الطبيعيه والمكتسبه والعادات والاهتمامات والميول والعواطف والمثل والأفكار والمعتقدات، كما تتضح فى علاقه الفرد مع وسطه الإجتماعى. ومعنى هذا أن الشخصيه لا تتكون وتنمو إلا نتيجه لتفاعل التكوين البيولوجى للفرد مع العوامل البيئيه والإجتماعيه والثقافيه خاصه.

ويمكن القول بأن الشخصيه هى محصله تفاعل عوامل بيولوجيه مع عوامل اجتماعيه ثقافيه بوجه عام، فالمجتمع والثقافه المميزه لهما أثر كبير فى شخصيات أفراده. فبثقافه المجتمع تحدد بدرجه كبيره اكتسابنا للكثير من عادات حياتنا اليوميه فى المأكل والمشرب والملبس وكذلك تؤثر فى طرق تفكيرنا وفى تعلم قيم الحق والباطل والعدل والظلم والجمال والقبح .....إلخ (سميرة أبو غزالة، ٢٠٢١).

وبالتالى فإن الشخصية تبزغ على أحسن الأحوال، عن تشكيل ما لدينا من تعليمات جينية، فوفقا لما قال به وليم جلاسر، فنحن نولد مع تعليمات جينية وجميع البشر يملكونها. هذه التعليمات هى الحاجات الأساسية (وهى: الحاجة للبقاء، الحاجة للحب والانتماء، الحاجة للقوة، الحاجة للحرية، الحاجة للمتعة). وهى تشبع بطرق محددة للغاية. فنحن موجودون فى بعد "الوقت"، ويجب أن نلبى الاحتياجات من لحظة للحظة، ولذلك فكل شخص عن طريق عالمه

المدرك الذى من خلاله يدرك العالم الحقيقى ويكون ذلك عبر نظامه الادراكى، والمعلومات عن هذا العالم الواقعى تأتى له عبر نظامه الحاسى (السمع، والبصر، واللمس، والشم، والتذوق) وهذه الحواس يمر من خلالها النظام الادراكى بدءا بما أسماه جلاسر" منقى المعلومات الكلية " وهو الذى يمثل كل شئ نعرفه أو سبق تجربته. ينمى بداخله "ألبوم صور" يحتوى على صور دقيقة للكيفية التى يشبع بها حاجاته، وكل ما يتمناه، وكل طموحاته، وأيضا كل رغباته المكبوتة.

وفى مكان المقارنة والتى تحدث باستمرار فى المخ أثناء تعامل الشخص مع الحياة حيث يكون فى حالة مقارنة مستمرة حول مايريده (الصور العقلية ، ألبوم الصور أو عالم الجودة) مع مايحصل عليه (العالم المدرك) وعندما يكون كلاهما متشابه أو على نحو ملائم إلى حد كبير يكون فى حالة جيدة ، أما عندما لا يكون هناك تلاؤم فربما يشعر بدرجة من الاحباط وذلك يكون إعتمادا على درجة أهمية الصورة الموجودة فى ألبوم صوره.

ولكى يحصل الشخص على أهميته عند نفسه وعند الآخرين يجب أن يحافظ على معيار معتدل من السلوك، ولكى يفعل ذلك يجب أن يتعلم أن يصحح نفسه عندما يرتكب الخطأ وأن يثيب نفسه عندما يفعل الصواب، وإذا لم يقيم الشخص سلوكه أو بعد تقييمه لم يعمل على تحسينه إذا جاء دون هذه المعايير، فإنه لن يشبع حاجته إلى الشعور بالقيمة وسوف يعانى بشدة، فالأخلاقيات والمعايير والقيم وكذلك السلوك الصحيح والخاطئ ترتبط كلها بشكل وثيق بإشباع الحاجة لتقدير الذات (سميرة أبو غزالة، ٢٠١٩).

مما سبق يمكننا القول بأن الشخص يتعلم ببطء داخل السياقات الأسرية والثقافية والاجتماعية كيف يفكر وينفعل ويتكلم ويتصرف.

ومن العوامل التى تعبر إلى نمو الشخصية أو تعلمها ما يلى:

١. **الخبرة؛** فكل شيئ يبدأ من الخبرة، فهى أشبه بالغذاء الذى تنتظم به الشخصية أو تضطرب، والذى ينطوى على تنشيط التمثيلات العقلية. وهى تمثل تلك الأحداث والمواقف والعلاقات البين شخصية التى يعيشها الشخص أثناء مضيه فى مسيرة الحياة. ولا تقتصر الخبرة على الأحداث المباشرة التى يشاهدها أو يسمعها أو يحس بها فقط، وإنما تشمل أيضا الخبرات غير المباشرة مثل: القصص، والتعلم، والأفلام، والتصورات، والخيال، وما إلى ذلك.

٢. **التمثيل والتقييم؛** بمجرد مرور الشخص بإحدى الخبرات، يقوم بالتزامن معها بأمرين بشكل حتمى؛ أولهما: تمثيل تلك الخبرات داخليا، بعرض المكونات البصرية السمعية الحسية المكونة للموقف. وثانيهما: تقييمها، من خلال التفكير وعزو عدد من المعانى حول هذا

الموقف، ويكون التقييم معتمدا على معتقداتنا حول بعض الأمور. هذه المعتقدات تقوم بوظيفة الأطر المرجعية الموجهة لتفكيرنا على نحو خفى.

٣. **التكيف؛** يحدث عندما يستجيب الشخص لأى موقف معتمدا على إعتقاداته ومشاعره وأفكاره المتصلة بالموقف. فنجد الشخص ينكر أو يتجنب أو يقمع أو يكبت أو يشعر بالندم أو يكتئب أو يتجنب أو يحتد أو يخاف أو يلوم أو يتشتت أو يعذر أو يتظاهر أو يبرر أو ينتمى أو يكشف أو يسأل أو يقوم بالمواجدة أويجمع معلومات إلخ (مايكل هوول، ريتشارد بولستاد، بوب بادينهامر، مارجو هامبليت، ٢٠٢١).

٤. **الاستعداد الوراثى المسبق؛** فتحرك الشخص عبر مختلف الأحداث والخبرات فى الحياة، والاستجابة لها يكون وفقا لقواه الفطرية من التفكير والانفعالات، والتحدث، والتصرف والارتباط، تبرز للأضواء أنماط استجاباته الخاصة به على نحو فريد عن طريق بنية حمضه النووى (الدنا). فيمكننا القول بأن للوراثة وحمض الدنا دور فى تحديد طبع الشخص أو مزاجه المحدد لشخصيته مستقبلا (جيروم كاجان، ٢٠١٤). وبالتالى فإننا يمكننا توقع أن أى معتقدات مختلة تنشأ نتيجة تفاعل الاستعداد الوراثى المسبق للشخص مع تأثيرات غير مرغوب فيها.

٥. **اجترار الأفكار والمشاعر؛** يعقب كل استجابة من هذه الاستجابات سواء كانت تكيفية أو غير تكيفية قيام الشخص بتوليد أفكار ومشاعر أخرى. هذه الأفكار والمشاعر منها ما يدعم استجابات الشخص، ومنها ما يتعارض معها. وتأتى هذه الاستجابات من أحد المخططات التى تفسر السبب وراء أن فعل الأشياء على نحو ما يجعل الحياة تسير على نحو أفضل.

٦. **الحاجات والدفعات والنواقص؛** أشار وليم جلاسر إلى أن السلوك الانسانى لايأتى من فراغ ولا يتجه إلى فراغ، إنما هو بطبيعته سلوك هادف مدفوع بعوامل داخلية عند الإنسان بدرجة أكبر من كونه موجه نتيجة لعوامل خارجية عنه.

وأن جميع البشر مدفوعون لتلبية الحاجات والرغبات، وأن الحاجات الانسانية مشتركة بين جميع الناس، والرغبات فريدة لكل فرد. وأن البشر سيكونوا راضيين وتتحقق لديهم حالة من الراحة عندما يشبعوا حاجاتهم. أما إذا حدثت فجوة بين ما يريدون وما يحصلون عليه فإنهم سيتحركوا لتنفيذ بعض السلوك، وهكذا. مثال: قارئ هذه الورقة سيقرأ لأنه يريد أن يعرف ما الذى سيأتى لاحقا فى النص، عندما لاتكون المواد الأخيرة غير معروفة، وعندما تكون معروفة فإنه لن يستمر فى القراءة. وأن هناك تناقضات دوما (إحباطات) بين ما نريده وما

نتصور أن نحصل عليه. هذا هو سبب استمرارنا فى إنتاج السلوك (مثل القراءة، أو طى الصفحات، ... إلخ).

وأشار إلى أننا لا نشبع حاجاتنا بشكل مباشر. ومانفعله هو أننا منذ ولادتنا وحتى موتنا، نفعل الأشياء التى تشعرنا بالسعادة والهناء. وأننا نحتفظ بالمعلومات بسجلات لكل ما نريد ونرغب به، ونريد تحقيق عالم يسمى عالمنا النوعى المفضل وهو جوهر الحياة التى نريدها. وأن هذا العالم يشبه ألبوم الصور، وأن البشر هم أهم عنصر فيه – ويعتبر اشباع الحاجات بطريقة سوية وبالطريقة المناسبة حسب موارد الشخص المتاحة فى بيئته مؤشرا جيدا للصحة النفسية وبالسلوك السوى. وقد صنف جلاسر الحاجات الإنسانية إلى:

- ✓ **الحاجات الفسيولوجية:** وهى الحاجات المنسوبة إلى مايسمى بالعقل القديم: وتتضمن: الحاجة للبقاء.
- ✓ **الحاجات السيكولوجية:** وهى الحاجات المنسوبة إلى مايسمى بالعقل الجديد: وتتضمن: الحاجة للانتماء، والحاجة للقوة، والحاجة للحرية، والحاجة للمرح أو المتعة (سميرة أبو غزالة، ٢٠١٩).

٧. **المعارف والتفكير والاستدلال بشأن حاجاتنا؛** انطلاقا مما أشار إليه جلاسر، يمكننا القول بأن الحاجات والدفعات والنواقص ليس بوسعها بمفردها تشكيل الشخصية أو حكمها دون فهم الشخص لها. وبالتالى فإن استعدادات الشخص الداخلية، بالإضافة إلى العوامل البيئية من حوله، بجانب تفاعلاته البين شخصية مع الواقع، تقود إلى إعادة تغيير طرق اشباعه لهذه الحاجات من حين لآخر كلما شعر بحاجة إلى ذلك من أجل تحقيق توازنه النفسى.

٨. **السياق البين شخصى؛** فالسياق البين شخصى الذى نشأ فيه الشخص يؤدى دورا حاسما فى كيفية تنظيم شخصيته.

٩. **التعود وقبول التعود؛** بمجرد اعتياد الشخص على طريقة لإشباع حاجاته فيصير متقبلا لها بوصفها تعكس واقعه ومصيره ومستقبله.

مفهوم الشخصية المصرية:

لفهم مفهوم الشخصية المصرية فلابد من معرفة أصل كلمة مصر، وكذا تاريخها. أما عن أصل كلمة مصر، فهى نسبة إلى "مصرايم ابن حام ابن نوح" أحد أحفاد النبى نوح عليه السلام الذى سكن مصر بعد الطوفان، فعندما ركب سيدنا نوح عليه السلام السفينة عندما جاء الطوفان وطاف الأرض. فكان كلما مر على بلدة تخرج إليه الملائكة الحارسون لها ويسلمون عليه ويلقون عليه السلام، وعندما مر على مصر لم يخرج إليه أحد فتعجب سيدنا نوح، فنزل عليه الوحى من الله سبحانه وتعالى: لا تعجب يا نبى الله فإن كل بلد لها ملائكة تحرسها إلا

مصر فإنى توليت حراستها. ولما انتهى الطوفان واستقرت سفينة سيدنا نوح على الأرض، قال له حفيده "مصرايم ابن حام ابن نوح": لقد آمنت بك يا جدى ولم يؤمن بك أبى. فادعى لى دعوة تسعدنى، فقال سيدنا نوح: اللهم إنه آمن بى فاسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد، وغوث العباد، والتى بها أفضل أنهار الدنيا وخزائن الأرض. وقال لحفيده اسكن هذه الأرض مصر.

ويؤيد ذلك ما ورد فى التوراة: إن مصر خزائن الأرض فمن أرادها بسوء كبه الله على وجهه يوم القيامة، وفى موضع آخر ما يريدها أحد بسوء إلا هلكه الله. وما ورد فى القرآن الكريم، قال ادخلوها بسلام آمنين. وكذا ذكر كلمات مصر ومصرى ومصريين فى الكتب السماوية الثلاث ٦٩٨؛ منها ٤٦٥ كلمة مصر، ١١٢ كلمة مصرى، ومنها ٦٧٠ مرة فى العهد القديم وذكرت مصر صراحة فى القرآن الكريم خمس مرات، ونحو عشرين مرة أو أكثر بشكل ضمنى مثل عند الحديث عن فرعون (يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى الحنفى، ١٩٩٢).

وأما تاريخها فقد حاولت قدر المستطاع اختزاله فى عدة مرتكزات هى كالتالى:

١. يمكن تقسيم فترات تاريخ مصر إلى ثلاث فترات: الفترة الأولى؛ فترة الدولة المصرية القومية الأولى، من الملك مينا عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد حتى الاحتلال الاستيطانى اليونانى عام ٣٢٢ قبل الميلاد. الفترة الثانية؛ فترة الحكم الأجنبى، ما بين حاكم مصر "نقتانبو" والرئيس محمد نجيب. الفترة الثالثة؛ فترة الدولة المصرية القومية الثانية، من ١٩٥٢ حتى حينه.
٢. تفرد النسيج الثقافى المصرى الفلاحى الذى فرض التعاون، المساواة، وحدة الحاكم، عدالة الحكم، الإدخار الوطنى، المصلحة، الدين، والعلم، ومن ثم الريادة. النيل والمصرى والزراعة سببا مباشرا فى اعتبار هذا التاسوع هو بذاته مكونا للشخصية المصرية الأولى التى قدمت للعالم كل البدايات.
٣. رغم ما يلعبه الدين من دور هو الأهم فى حياة الشعب المصرى إلا أنه لم يقبل بالتوظيف السياسى للدين، ولم يستسلم للقهر الدينى مهما بلغ مستواه.
٤. أسفر تعاقب التغيير فى تكوين السلطات الاحتلالية عن ظاهرة تراكم الصفوة التى مثلت ولا تزال أهم أحد محددات التكوين الاجتماعى فى مصر الحديثة.
٥. من ثوابت الدولة المصرية القومية الأولى أن يحكمها الملك وهو دائما القائد الأعلى للقوات المسلحة (أحمد عاشور، صبحى عاشور، ١٩٩٩).

مفهوم الشخصية المصرية القومية:

مفهوم الشخصية القومية بنى على أساس مفهوم اختزالى يحاول رد ما هو اجتماعى إلى ما هو سيكولوجى، وانطلق باحثو الشخصية المنوالية من حقيقة أن أفراد المجتمعات الثابتة

والمستمرة غالباً ما يظهرون سمات محددة بصورة أكثر تكرارا من الجماعات المؤقتة أو غير الخاضعة لتنظيم اجتماعى مشترك. والشخصية المنوالية تعنى بظواهر مشتركة مرتبطة بالشخصية الأساسية والوطنية، غير أنها تركز بدرجة كبيرة على الديناميكية النفسية المتمثلة فى تكيف الأشخاص ونجاحهم في بلوغ مستوى من النمطية فى ميولهم العامة التى يتميزون بها عن أفراد المجتمعات والثقافات الأخرى.

وأشار أحمد عكاشة إلى أن كثيرا من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل كاودنر ولتون تحدثوا عن الشخصية المنوالية المرتبطة بالثقافات الفرعية، وقد استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من دراسات "مارجريت ميد" للشخصية اليابانية فى التعامل مع اليابان فى الحرب العالمية الثانية (أحمد عكاشة، ٢٠٠٨).

ويمكن تعريف الشخصية المصرية القومية بأنها الجانب من الشخصية الذى يرجع إلى عضوية الفرد فى قومية معينة، أو هى نمط من الخصائص السلوكية يميز أبناء قومية عن أبناء قوميات أخرى، ويكون على درجة من الاستقرار الممكن فى الوقت نفسه يرتبط بالخصائص الكبرى للمرحلة التاريخية التى تمر بها الجماعة القومية. وتحديد معالم الطابع القومى للشخصية قد يكون ميسورا نسبيا فى أحيان، وفى أحيان أخرى يكون صعبا. فهو يستند إلى وجود حد أدنى من التشابه فى عمليات التوافق الأساسية التى تحدث لأبناء القومية الواحدة نتيجة التشابه بدرجة ما بين الشروط البيئية التى تواجه الجميع (عبد العزيز الرفاعى، ١٩٧١).

وأوضحت مراجعة التراث حول سمات الشخصية المصرية أن المصريين يتسمون بسمات تميزهم عن باقى الجنسيات فى العالم، فأشار (عبد العزيز رفاعى، ١٩٧١) إلى تميز الشخصية المصرية بسمات هى: الرضا والقناعة، الكرم، حب الأسرة، الطاعة والتوحيد، الوعى الدينى، روح الفكاهة والنكتة، اللامبالاة الإدارية، التوازن، والاعتدال. أما (جمال حمدان، ١٩٨٠) فقد أشار إلى أن أهم ما يميز الشخصية المصرية هو: التدين، المحافظة، الاعتدال، الواقعية، الوداعة، الاستقرار، إنعدام روح المغامرة، روح التواكل، الكسل، التعود على الطاعة، الجمود،الطغيان، الخضوع، والسلبية.

وأشار (عاطف وصفى، ١٩٨١) أن أبعاد الشخصية المصرية هى: الثبات النسبى، التدين، الوطنية، الازدواجية، الفكاهة الحزينة، والكرامة. أما (على ليلة، ١٩٨١) فأشار إلى بعض السمات الأساسية التى تميز الشخصية المصرية هى: التدين، الاستقرار، الإجتماعية، والخنوع. وأشار (حمدى ياسين، ١٩٨٦) إلى شيوع سمات: التدين، الصبر،الوطنية، خفة الظل، الإجتماعية، والكرم.

أما (عزة عزت، ٢٠٠٠) فأشارت إلى تحول كل من: الذكاء إلى الفهلوة، والتدين إلى الإتجار بالدين، الطيبة إلى عنف وعدوان، زيادة السخرية، حلم الاستقرار إلى حلم السفر، الفن

والتذوق الرفيع إلى فن عشوائى ولا تذوق. وأشار (أحمد عكاشة، ٢٠٠١) إلى وجود سمات إيجابية غالبة على الشعب المصرى هى: الإنبساطية، حب الاختلاط، الدفء العاطفى، طيبة القلب، المسئولية الأسرية، الانتماء، والتدين. ووجود سمات سلبية غالبة عليهم هى: الاتكالية، السلبية، العدوانية، النفعية، الإزدواجية، الإستهوانية، واهتزاز الهوية.

أما (سيد يوسف، ٢٠٠٥) فقد قسم السمات المميزة للشخصية المصرية إلى سمات أكثر شيوعا، وسمات متوسطة الشيوع، وسمات أقل شيوعا، وسمات جديدة، وسمات سلبية، وسمات إيجابية. أما السمات الأكثر شيوعا فهى: غيور، اتكالى، يحسن الكلام مقابل الفعل، يجارى الآخرين، والضمير ليس داخلى. والسمات متوسطة الشيوع هى: القلق، والعناد. والسمات الأقل شيوعا وهى: كسول، فوضوى، متسلط، يغلب عليه الحزن، فاقد الثقة فى الآخرين، يميل للتفكير الخرافى، انتهازى، معقد فى علاقته بالآخرين، منطوى إنعزالى، والحقد على الآخرين. والسمات الجديدة هى: الفهلوة، التصلب النسبى، الشعور العميق بالحزن، التواكل، ضعف التوجه العلمى، الحساسية الشديدة، الانتهازية، اللامسئولية، تبلد العواطف الأسرية، تليف الضمير، اللامبالاة، السلبية، التبرير، الإغراق فى الغيبيات، والازدواجية بين القول والفعل. والسمات السلبية هى: كبت المشاعر، المظهرية، اللامسئولية، التسلط، الجمود والتصلب، السطحية فى حل المشكلات، ثنائية التفكير، البعد عن الواقعية، الانغلاق نحو الذات، الإغتراب، يميل للجماعة لكنه يرغب فى التمايز فى اللقب والمكانة والوظيفة والسلطة والنفوذ. والسمات الايجابية هى: المرح، حب الوطن، خفة الظل، الاهتمام بالأسرة، الكرم، التحمل، التسامح، الإخلاص، الصبر، حب الخير للناس، التواضع، التدين، الشرف،سرعة البديهة، الذكاء، اللين، الوعى بما يدور حوله،سعة الأفق، حب الاستطلاع، طيب المعشر، ونجدة الملهوف.

وأشارت (فاطمة الزهراء طه، ٢٠٠٨) إلى عدد من السمات تميز الشخصية المصرية منها سمات إيجابية هى: التدين، الاعتدال، الصبر، حب الأسرة، الفكاهة، والمرح. وسمات سلبية هى: السلبية واللامبالاة، التناقض والازدواجية، الفهلوة، الشك والتوجس، الميل التبريرى، الخضوع والتمرد أحيانا. أما (أنيس منصور، ٢٠١٠) فأشار إلى أن المصرى يتسم بـــــ: الفردية، السلبية، الفهلوية، الازدواجية، الانتماء، الجبن والخضوع، والوطنية.

فى ضوء ما سبق فقد رأيت ما يلى:

قد يعتقد البعض أن ما أشارت إليه نتائج مراجعة التراث نتائج قوية بشكل قد يقودهم إلى الاعتقاد بما ورد بها، لكن ولأنه دائما ما يقال "إن الشيطان فى التفاصيل" بمعنى أنه من السهل أن نشير إلى نتائج مثيرة، ولكن إذا اقتربنا أكثر من التفاصيل التى تتضمن الإجراءات المنهجية – لما تم مراجعته – فسيتضح ما يلى:

١. خطأ اختيار عينات ممثلة للمجتمع بالطرق العلمية المتعارف عليها.
٢. خطأ القياس؛ فكل المقاييس تحوى أخطاء، وهذه حقيقة فى علم النفس، فالمقاييس التى تتضمن السلوك الانسانى بخاصة ليست محددة، لأن البشر ليسوا ضخورا، فهم شديدو الحساسية وفى حالة تفاعل دينامى مع البيئة. فسلوك الفرد يتغير ويتعدل وفقا لحالته الطبيعية ومشاعره، والفرد يستجيب على أدوات القياس وفقا لما يعتقد أنه يجعله أحسن عند الآخرين.
٣. ما وراء المناقشة والتفسير والتحليل؛ فلا يمكن التغلب على التحيز لقناعات الباحث، فلكل باحث عدساته التى يرى من خلالها.
٤. إغفال ما مرت به مصر من فترات تاريخية ثلاث : الفترة الأولى؛ فترة الدولة المصرية القومية الأولى، من الملك مينا عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد حتى الاحتلال الاستيطانى اليونانى عام ٣٢٢ قبل الميلاد. الفترة الثانية؛ فترة الحكم الأجنبى، ما بين حاكم مصر "نقتانبو" والرئيس محمد نجيب. الفترة الثالثة؛ فترة الدولة المصرية القومية الثانية، من ١٩٥٢ حتى حينه. وفى الفترتين الثانية والثالثة كانت هناك ضغوط شديدة على المصريين، وفى وقت الضغوط يتفاعل الأشخاص بالأسلوب الاحتياطى، ويتسبب ذلك فى ظهور سمات غير حقيقية.
٥. إذا كانت الشخصيه تتكون وتنمو نتيجه لتفاعل التكوين البيولوجى للفرد مع العوامل البيئيه والإجتماعيه والثقافيه خاصه. فلا يمكننا أن نغفل ما حدث من تغيرات فى أدلة التشغيل (البرمجة) والطرائق الاجتماعية والسياسية فى بناء شخصية الفرد، فنتج عن ذلك اختلاف برمجة المصريين، فحدثت طفرات هامة غيرت طريقتنا فى العيش. فبعد تفرد النسيج الثقافى المصرى الفلاحى الذى فرض التعاون، المساواة، وحدة الحاكم، عدالة الحكم، الإدخار الوطنى، المصلحة، الدين، والعلم، ومن ثم الريادة. والنيل والمصرى والزراعة سببا مباشرا فى اعتبار هذا التاسوع هو بذاته مكونا للشخصية المصرية الأولى التى قدمت للعالم كل البدايات. إلا أنه ولأسباب أرجعها البعض إلى الضغوط والأزمات والتحولات الإقتصادية والسياسية حدث تباعد بين الإنسان المصرى وجوهر شخصيته الأصلية، فشعر معها باهتزاز الهوية والاغتراب.

دفعنى ذلك لمحاولة توضيح وتفسير هذه التغيرات – وكل ما آمله أن يتمكن قارئ هذه الورقة من الطلاب أو الباحثين – من رؤية تلك التغيرات بطرق أخرى.

فما حدث من تغيرات فى الشخصية المصرية ناتجة عن التغير الكبير الذى حدث خلال النصف الثانى من القرن العشرين فى مفهوم الفرد سواء على المستوى الاجتماعى أو المؤسسى

أو السياسى وكذا على المستوى النفسى، انتقال من مجتمع يحكمه النظام إلى مجتمع تقود الاستقلالية خطاه.

ففى الحالة الأولى (مجتمع النظام) تسود كلمات مثل "ممنوع" و "طاعة" و "حس الواجب" و "تضحية" وما جرى مجراها. وفى الحالة الثانية (مجتمع تقود الاستقلالية خطاه) تسود كلمات مثل "تغيير" و"سباق" و"مسؤولية" و"منافسة" أو قرار. وبعد أن بدأت الثورة الصناعية، أصبحت الشيوعية قوة عظمى.

ونتيجة لتلك التغيرات فقد تغيرت أدلة التشغيل والطرائق الاجتماعية والسياسية فى بناء شخصية الفرد، فنتج عن ذلك اختلاف برمجة المصريون، فحدثت طفرات هامة غيرت طريقتنا فى العيش ويظهر ذلك جليا فى الألفاظ التى أصبحنا لا نكف عن استعمالها (مثل إقامة المشاريع، وإبرام العقود، وخلق القدرات والدوافع وغيرها).هذه التغيرات حدثت بسرعة، مقارنة بالتغيرات الحضارية لما قبل التاريخ وأنتجت شخصيات مختلفة.

ومنذ عام ٢٠٠٠ دخلنا حقبة العولمة ٠و٠٣، وهذه الحقبة وفقا لما أشار إليه(توماس فريدمان، ٢٠٠٥) قلصت العالم من حجمه الصغير إلى حجم شديد الصغر. وإذا كانت القوة الفعالة فى العولمة ٠و٠١ هى عولمة البلاد، والقوة الفعالة فى العولمة ٠و٠٢ هى عولمة الشركات، فإن القوة الفعالة فى العولمة ٠و٠٣هى قوة الأفراد المكتشفة حديثا وقدرتهم على التعاون والتنافس عالميا. والرافعة التى مكنت الأفراد والمجموعات من الخروج إلى العالم بسهولة ويسر ليست قوة الأحصنة ولا التجهيزات، بل البرامج – وكل أنواع التطبيقات الجديدة – بالارتباط مع ابتكار الشبكة العالمية ذات الكابلات الضوئية التى جعلتنا جميعا جيران. وأن هذه الحقبة تسوى العالم وتصغره، فالعولمة ٠و٠٣ سيدفعها ليس فقط الأفراد بل مجموعات من الأفراد أكثر تنوعا، وستمكن شعوبا كثيرة فى أن تشارك وتلعب وسنرى كل لون من ألوان قوس قزح الناس يأخذ دورا. وهذا يعنى أن تقوية الأفرد على العمل عالميا هى الميزة الجديدة الأكثر أهمية فى العولمة ٠و٠٣.

وفى حقبة العولمة ٠و٠٣ أصبحت الدول التى تمتلك وسائل إتصال قوية تسيطر على تدفق المعلومات (مثل: إشاعة ثقافة العنف والتطرف والترويج للجريمة، ونشر ثقافة الجنس وتشجيع العلاقات الجنسية المحرمة، والتهوين من شأن اللغة القومية وإعلاء شأن اللغات الأجنبية، وتبجيل التعليم الأجنبى) التى تتدفق على شكل صور وكلمات وقيم أخلاقية وقواعد قانونية ومصطلحات سياسية وغيرها، وجميع هذه المعلومات تغير أدلة التشغيل لدى مستقبليها. وينتج عن ذلك تغير الطرائق الاجتماعية والسياسية فى بناء شخصية الفرد، وبالتالى تغير الشخصية.

هذه التغيرات حدثت بسرعة أكبر، مقارنة بالتغيرات الحضارية التى حدثت خلال النصف الثانى من القرن العشرين وأنتجت شخصيات مختلفة وفى عام ٢٠١١ شهد المصريون لحظة إزالة الستار عن المشهد المأساوى لثورة ٢٥ يناير، وما تلاها من تداعيات من اختلال الموازين، وضرورة التعامل مع الفوضى، ثم التحديات التكنولوجية وأخطرها الهندسة الوراثية، والتكنولوجيا فائقة الصغر (النانو تكنولوجى)، والإنسان الآلى (الروبوت).

توصيات:

١. إعادة إكتشاف الهوية المصرية بعيدا عن ما يحدث من تحولات حضارية، ذلك أن نتائج التحولات الحضارية لا يصلح أن يكون أساسا لتحديد هوية شعب عظيم هو الذى أنتجها.
٢. تنشيط الحاضنة الثقافية المصرية الوطنية الأصيلة،وإعادة إكتشاف الهوية المصرية القومية، فهوية الشعوب لا تتحدد بقرار سياسى أو مادة فى دستور الدولة، ولكنها تتحدد وتنمو وتزدهر بالحاضنة الثقافية للوطن الأم بعيدا عن ما يحدث من توجهات سياسية ودينية، فتلك التوجهات لا تصلح أن تكون أساسا حضاريا لتحديد هوية شعب عظيم هو الذى أنتجها.
٣. استعادة الانتماء الذى هو شعور أولا ثم فعل وسلوك، فهو جزء أساسى فى ملف النهضة الثقافية التى هى مستلزم من مستلزمات النهضة الثلاثية (الثقافية، الاقتصادية، والسياسية) وبداية النهضة الثقافية من التربية والتعليم، فالتعليم كان ولا زال يلعب دورا مهما فى توحيد المصريين وتنمية شعورهم بالانتماء، لذا فيجب مراعاة عدم تقسيم المجتمع إلى شريحتين أو طبقتين متصارعتين، فوجود جامعات خاصة بمصروفات باهظة أدى إلى زيادة الفجوة بين القادرين – الذين يحصلون على تعليم أفضل وأكثر جودة وبالتالى يحصلون على أفضل الوظائف والمراكز فى المجتمع – وغير القادرين.
٤. كان ولا يزال الدين بمفهوم الاعتقاد أحد أهم ثوابت الشخصية القومية المصرية، لذا فعلى رجال الدين والمؤسسة الدينية المصرية الوطنية التخلى عن طموحهما السياسى والاقتصادى.

المراجع

أحمد عاشور، صبحى السيد عاشور (١٩٩٩). *الوطن الأم: دراسة فى الثقافة القومية المصرية*. الناشر المؤلفان.

أحمد عكاشة (٢٠٠١). *تشريح الشخصية المصرية*. القاهرة، دار الشروق.

أحمد عكاشة (٢٠٠٨). *ثقوب فى الضمير: نظرة على أحوالنا*. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أنيس منصور (٢٠١٠). *جريدة الشرق الأوسط*. عدد ١١٥٤٦ بتاريخ ٩ يوليو.

توماس لورن فريدمان (ترجمة: حسام الدين خضور) (٢٠٠٥). *العالم مستو: موجز تاريخ القرن الحادى والعشرين*. ١٧-١٨.

جمال حمدان (١٩٨٠). *شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان*. القاهرة، عالم الكتب.

جيروم كاجان (ترجمة: عمرو حشمت، محمود خيال) (٢٠١٤). *عناصر المزاج – تشابك الجينات والثقافة والزمن والخط*. القاهرة، المركز القومى للترجمة.

حامد عمار (١٩٦٥). *فى بناء البشر: دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى*. القاهرة، الدار العربية للكتاب.

حمدى ياسين (١٩٨٦). *السمات الشائعة للصورة* الوطنية *المصرية*. كلية البنات، جامعة عين شمس.

رأفت عبد الفتاح حسين محمد (٢٠٠٤). دور التعليم فى بناء الشخصية المصرية على ضوء متغيرات القرن الحادى والعشرين. *رسالة ماجستير*، كلية التربية، جامعة عين شمس.

رانيا رمزى حليم إلياس (٢٠١٤). التحولات فى الشخصية المصرية دراسة تحليلية لمضمون بعض الصحف اليومية ٢٠٠٩-٢٠١٠. *حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس*، مجلد ٤٢، عدد ٣، ١٣-٤٧.

رفيق حبيب (١٩٨٨). ملامح الشخصية المصرية من العصر الفرعونى حتى الآن. *رسالة دكتوراه*، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

رفيق حبيب (١٩٩٠). الشخصية المصرية: التجديد والإحياء والاستمرار، فى (لويس كامل مليكة، ١٩٩٠) *قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سميرة أبو غزالة (٢٠١٩). *النظرية والتطبيق فى الإرشاد والعلاج بالواقع*. القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٧-٢٨، ٢٢٤-٢٢٥.

سميرة أبو غزالة (٢٠٢١). *الإرشاد النفسى المدرسى والتوجيه التربوى والمهنى*. القاهرة، دار النهضة العربية، ١١٤.

سيد يوسف (٢٠٠٥). الدراسات النفسية للشخصية المصرية وأهم السلبيات الأكثر شيوعا. *الحوار المتمدن*، عدد ١٣٥٦، بتاريخ ٢٣ أكتوبر.

عاطف وصفى (١٩٨١). *حول أبعاد الشخصية المصرية التقليدية*. القاهرة، دار المعارف.

عبد العزيز الرفاعى (١٩٧١). *الطابع القومى للشخصية المصرية*. القاهرة، دار النهضة العربية.

عزت حجازى (١٩٦٩). الشخصية المصرية بين السلبية والإيجابية. *مجلة الفكر المعاصر*، أبريل.

عزة عزت (٢٠٠٠). *التحولات فى الشخصية المصرية*. القاهرة، دار الهلال.

على محمود ليلة (١٩٨١). الشخصية المصرية مقوماتها وملامحها الأساسية. *مركز الدراسات والأبحاث الإقتصادية والإجتماعية*، الجامعة التونسية.

فاطمة الزهراء محمد طه (٢٠٠٨). التصورات النمطية للشخصية المصرية. *رسالة ماجستير*، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

مايكل هوول، ريتشارد بولستاد، بوب بادينهامر، مارجو هامبليت (ترجمة: أيمن محمود، أحمد موسى) (٢٠٢١). *بنية الشخصية؛ منحى إكلينيكى جديد من منظور البرمجة اللغوية العصبية*. القاهرة، المركز القومى للترجمة.

ميلاد حنا (١٩٩٣). *الأعمدة السبعة للشخصية المصرية*. القاهرة، دار الهلال.

نهلة إبراهيم محمد (١٩٩٦). ملامح الشخصية القومية المصرية بين الاستمرارية والتغيير: سسيولوجية فى الفترة من السبعينات للتسعينات. *رسالة ماجستير*، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى الحنفى (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة*. ج١، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دار الكتب.